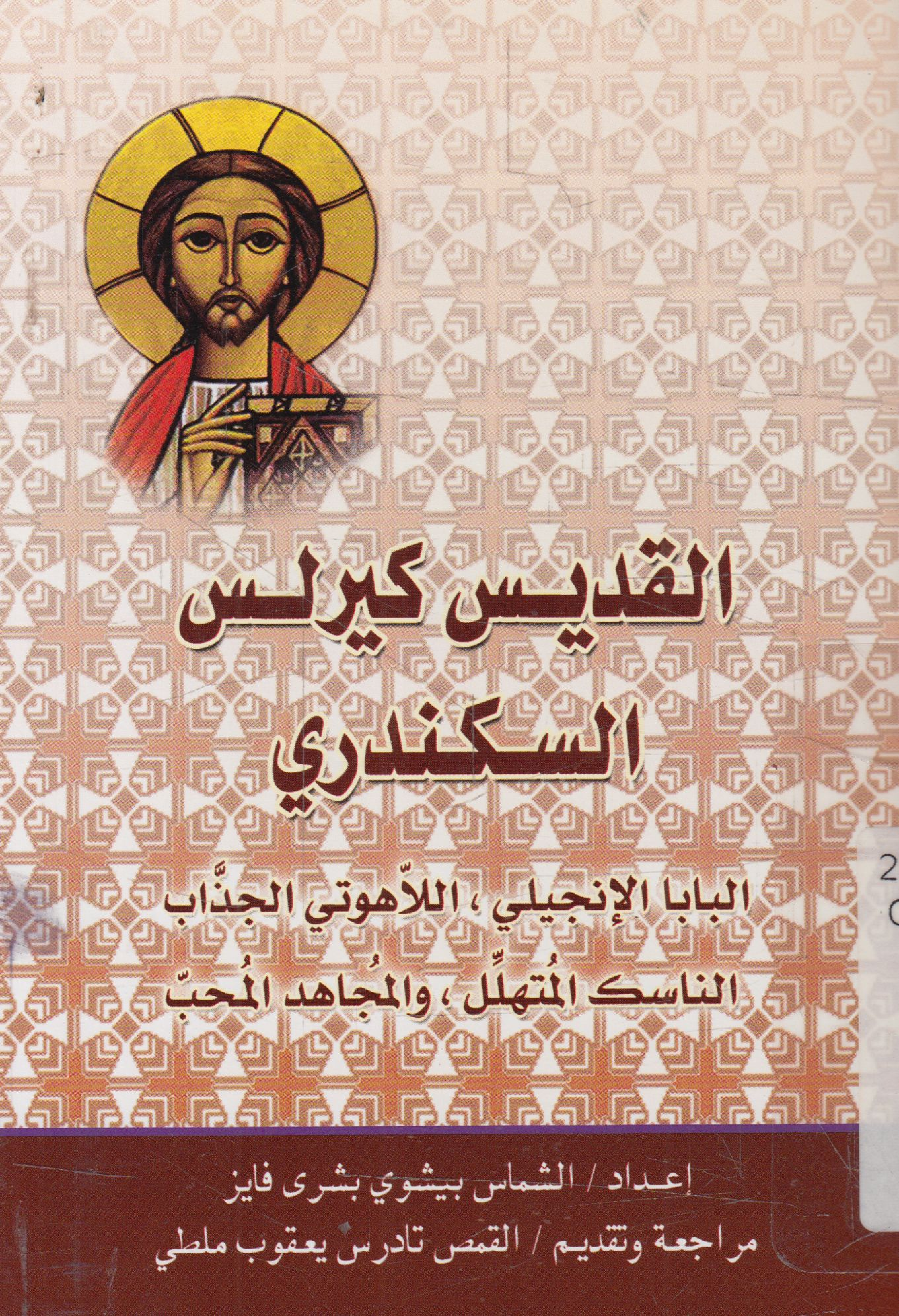


القديس كيرلس السكندري

البابا الإنجيلي ، اللاّهوتي الجذَّاب
الناسك المُتهلِّل ، والمُجاهد المُحبّ

إعداد / الشماس بيشوي بشرى فايز

مراجعة وتقديم / القمص تادرس يعقوب ملطي

القديس كيرلس السكندري

البابا الإنجيلي ، اللاّهوتي الجذّاب
الناسك المُتهلّل ، والمُجاهد المُحبّ

٢٠١٠

إعداد

الشماس بيشوي بشرى فايز

مراجعة وتقديم

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مارجرجس - سبورتنج - الإسكندرية

باسم الاب والابن والروح القدس،

الإله الواحد. امين.

اسم الكتاب: حياة القديس كيرلس السكندري.

إعداد: الشماس بيسوى بشرى فايز.

مراجعة وتقديم: القمص تادرس يعقوب ملطى.

الناشر: كنيسة الشهيد مارجرجس - سبورتنج - الإسكندرية.

المطبعة. مطبعة دير الشهيد مارمينا العجائبي بمريوط.

موبايل: ٠١٢ ٢١٥٢٨٥٦ & تليفاكس: ٤٥٩٦٤٥٢ ٠٣



صاحب الغبطة والقداسة

البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

القائد المُتَهلِّل

لسيرة القديس كيرلس الكبير جاذبيتها الخاصة، فهيَ في جوهرها دعوة عملية لندرك أن الله خلقنا جميعًا لنحمل روح القيادة الروحية الصادقة.

بالأكثر هيَ دعوة لنتعرَّف على الطريق، كيف نبث في الجيل الجديد نمط القيادة التي تتحدَّى كل الظروف ولا يتسلل إليها روح الفشل. ليست القيادة المتشامخة المُحطِّمة للنفس، إنما القيادة بروح الله القادرة أن تحمل القلوب إلى السماء بروح النجاح والفرح الدائم.

منذ حوالي سبع سنوات، إذ انشغلتُ بإلقاء محاضرات عن شخصية هذا البابا العجيب بسيدني وملبورن، أستراليا، وأنا أقف في حيرة أمام هذا البابا، لستُ أعرف ماذا أدعوه.

١. إنه **البابا الإنجيلي**، الذي عَشَقَ الكتاب المقدس منذ طفولته، يقضي الليل أغلبه في حفظ نصوص منه، فتلامس مع السيد المسيح كلمة الله، المُختفِي وراء الحروف، يرى العبور إلى السماء وهو بعد في الجسد على الأرض ليس بالأمر السهل فحسب، وإنما هو الوضع الطبيعي للمؤمن، وقد حمل المسيح في أعماقه، وحسب ما قدَّمه السيد في حياته على الأرض لحسابه، كما تهللتْ نفسه بأُبوَّة الآب وسكنى الروح الناري فيه.

٢. عاصر نسطور الذي مزّق شخصية السيد المسيح إلى شبه كائنين، فرفض أن تُدعى القديسة مريم «ثيؤطوكوس»، أي والدة الإله، بل تُدعَى «والدة المسيح».

كل حوارات أبينا جذابة للغاية، سواء ضد إلحاد يوليانوس أو النسطورية أو غيرهما. فمع ما اتَّسم به من قوة الحجة والمنطق، والتصاقه بكلمة الله، تتلمس غيرته المتقدمة لخلاص حتى المقاومين والعبور بهم كما إلى المجد الأبدي.

لاهوتياته لا تنفصل عن رعايته والتهاب قلبه بخلاص العالم كله إن أمكن. إنه **اللاهوتي الجذَّاب** بالحكمة السماوية!

٣. حياته كراعٍ باذلٍ ولاهوتي متفتح، تسندها سمته كناسكٍ حقيقيٍ ليس في الطعام والشراب والنوم، إنما في تخليه قلبيًا عن الزمنيات لتتجلَّى أمامه الحياة السماوية، يختبر عربونها وهو بعد في الجسد. هذا ما أقام منه **ناسكًا متهللاً**، يضع نصب عينيه إن أمكن أن يحمل كل أحدٍ ليدفعه بروح الله القدوس إلى الحياة شبه الملائكية، ليصير بالحق أيقونة المسيح.

٤. لا نعجب إن وقف والي الإسكندرية ضده يحرِّض اليهود القاطنين فيها على مهاجمة شعبه علانية بل وقتلهم، ويهاجمه حاملو الفكر النسطوري بكل وسيلة. له أعداء، عانى منهم، لكن بقي قلبه متسعًا بالحب لمقاوميه. كان يشعر أنه لن يوجد إنسان على الأرض

يحب نسطور مثله، وإن كان لا يقبل ما ينادي به من خطأ فادح وهرطقة!

الآن نستطيع أن ندرك لماذا يُعتبر القديس كيرلس أب للكنيسة الجامعة، وصيغته اللاهوتية الخاصة بطبيعة السيد المسيح: «طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة» تُعد حجر الزاوية في جميع الحوارات المسكونية الخاصة بطبيعة السيد المسيح. وتعتبره الكنيسة اليونانية المرجع الأعظم فى كل المشاكل اللاهوتية الخاصة بطبيعة السيد المسيح. دعاه أنسطاسيوس السينائي (٧٠٠م) «خاتم الآباء»، لأنه جمع تراث التقليد الآبائى في تعليمه الثالوثي. ولُقّب بـ «عالِم الكنيسة اللاهوتي» فى ١٨٨٢م، وتمجده الكنيسة اليونانية في مدائحها قائلة:

[السلام لك أيها النجم اللامع المحارب المدافع عن العذراء القديسة.

والذي ارتفع صوته على كل الرؤساء في أفسس بأنها والدة الإله...

ابتهج أيها المبارك كيرلس، ينبوع اللاهوتيات، ونهر معرفة الله.

لا تتوقف عن أن تتشفع فينا أمام المسيح[1].]

[1] JA McGuckin, trans., *St Cyril of Alexandria on the Unity of Christ*, St Vladimir's Seminary Press, New York, 1995, p. 32.

وتكرم الكنيسة السريانية أيضًا القديس كيرلس في ليتورجيتها فى تذكار الآباء والمعلمين (الملافنة)، فتقول: «وبالأخص مار قوريللس (القديس كيرلس) العظيم، البرج العالي الذي بثبات وبكل إخلاص برهن على تأنس كلمة الله، ربنا يسوع المسيح المتجسد»[٢]. وهكذا نلاحظ مدى تكريم الكنائس الأخرى (غير كنيسة الإسكندرية) لهذا القديس العظيم[٣].

إنني أهنئ الشماس بيشوي بشرى فايز لقيامه بهذا العمل الرائع، وأشعر بفرحٍ شديدٍ لتحقيق ما كنت أشتهيه بخصوص الكتابة عن آباء الكنيسة وكتاباتهم وأفكارهم ومفاهيمهم.

القمص تادرس يعقوب ملطي

---

[٢] المطران مارثاوفيلوس جورج صليبا، خبز الحياة: كتاب القداس الإلهي حسب طقس كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية، جبل لبنان ٢٠٠٢م، ص٢٣٠، ٢٩٨، ٣٦٩.

[٣] الدفاع عن القديس العظيم كيرلس السكندري في قضية مقتل هيباتيا، دير القديسة دميانة.

القديس كيرلس قبل أسقفيته

طفولته:

وُلِدَ القديس كيرلس في الإسكندرية بين عــام ٣٧٥م و٣٨٠م، وكان جدًّا القديس بارين غنيين يعيشان في ممفيس التي كانت تُدعَى أركاديا *Arcadia* (حاليًا ميت رهينة في جنوب الجيزة).

ولما تنيحا تولت مُرَبِّيَة أثيوبية وثنية العناية بالطفلين ثيؤفيلوس وأخته (والدة القديس كيرلس)، لكنها كانت بقلبها تحــب المســيحية بإخلاص. رافقتهما إلى هيكل أبوللون وأرتيموس، وعند وصــولهم سقطت الأوثان على الأرض، فارتعبــت المُربيَّــة. هربــت إلــى الإسكندرية، حيث التقت بالقديس أثناسيوس الذي شرح لها ما حدث في المعبد، فقَبِلتْ الإيمان واعتمدت مع الطفلين.

سِيمَ ثيؤفيلوس بطريركًا للإسكندرية، وعاشت أخته في بيت للعذارى *virgins' community* حتى تزوجت رجلاً تقيًا من محلة البرج (ديدوسقيا *Didoyscya*)، شمال المحلة الكبرى.

ثقافته:

نال القديس كيرلس قســطًا وافــرًا مــن العلــوم الكلاســيكية واللاهوتية في مدرسة الإسكندرية، أكبر مركز للتعليم في ذلك الوقت، هذا بجانب ما تمتَّع به من تعاليم على يدي خاله البابا ثيؤفيلوس.

درس القديس كيرلس كتابات العلامة أوريجينوس والقديس أثناسيوس والقديس ديديموس الضرير، وقرأ كتابات القديس باسيليوس الكبير والقديس غريغوريوس النزيانزي، كما تعلم أيضًا اللغة العبرية واللغة السريانية، ومع ذلك كتب معظم أعماله باللغة اليونانية، والقليل منها كتبه باللغة القبطية. حضر دروس المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية على يدي القديس ديديموس الضرير. وتقابل مع القديس مقاريوس السكندري قبل نياحته في سنة ٣٩٤م.

سعى القديس كيرلس وراء الدراسات الفلسفية المنهجية التي من الصعب تحديدها، لكنه لم يكن فيلسوفًا. تحتوي كتاباته في لغتها على صور واستعارات ومجازات أكثر من التطور المنهجي في الأفكار[٤].

كان القديس كيرلس حاد الذكاء، موهوبًا بصوت ملائكي في قراءة الإنجيل وفي تلاوة ألحان الكنيسة بجانب قدرته الفائقة على حفظ الكتاب المقدس. قيل إنه كان يحفظ النص بمجرد قراءته. وكان يقضي الليل ساهرًا يحفظ الكتب المقدسة لكي يُسمِّع في الصباح ما حفظه أمام أبيه الروحي.

---

[4] Norman Russell : *Cyril of Alexandria*, Routledge, *2000, P.5*

في برية الإسقيط:

قال القديس كيرلس: [في وقت مُبكَر تعلمتُ الكتب المقدسة، وتتلمذتُ على يدي آباء قديسين أرثوذكس[5].] هنا كلمة «الآباء» ربما يقصد بها «الرهبان». وبحسب ساويرس بن المقفع قيل إنه أُرسِلَ من قبَل خاله إلى دير القديس أنبا مقار حيث تتلمذ على يدي القديس سيرابيون الكبير، وقرأ على يدي هذا الأب العهدين القديم والجديد. وكان عمره حين ذهب للبرية حوالي عشرين سنة، وقضى هناك حوالي خمس سنوات.

سيامته كاهنًا:

بعد خمس سنوات استدعاه خاله البابا ثيؤفيلوس، ورسمه شماسًا «ذياكون». وقيل إنه حين كان يقرأ الإنجيل في الليتورجيا (القداس الإلهي)، كان الشعب لا يريده أن يتوقف عن القراءة بسبب عذوبة صوته.

غالبًا ما كان القديس كيرلس يصاحب البابا في مقابلاته الهامة.

ففي عام ٤٠٣م أخذه معه إلى القسطنطينية، حيث اشترك كشماسٍ في أعمال مجمع السنديانة الذي عُزِلَ فيه القديس يوحنا الذهبي الفم.

---

[5] *E. Schwartz: Acta Xonciliorum Oecumenicorum, 1:1:3, p. 22.*

وفي سنة ٤٠٤م رسمه البابا كاهناً ليعاونه في رعاية الشعب، وانطلق يعظ ويُعلِّم الشعب ويفسر الكتب المقدسة، ويوضح من خلالها تعليم الإيمان الصحيح، وبدأت تظهر في تلك الفترة موهبته التعليمية وشخصيته الروحانية[٦].

[٦] القديس كيرلس السكندري، حياته وكتاباته، د. نصحي عبد الشهيد - أعمال المؤتمر السنوي السادس للدراسات الآبائية - بني سويف عام ١٩٩٧م.

القديس كيرلس في السنوات الأولى من باباويته

سيامته:

عندما تنيح البابا ثيؤفيلوس في ١٥ أكتوبر عام ٤١٢م، أرادت الحكومة بضغط من جانب أوريستس *Orestes* حاكم الإسكندرية، أن يكون أحد رؤساء الشمامسة ويُدعَى تيموثاوس خلفًا لـه. وبعد الاضطراب بين مؤيدي القديس كيرلس ومؤيدي منافسه تيموثاوس، تم اختيار وسيامة القديس كيرلس البابا الرابع والعشرين خلفًا لخاله البابا ثيؤفيلوس بعد يومين فقط من نياحته، وكان لـه من العمر حوالي ٣٨ سنة.

قال ساويرس أسقف الأشمونين[٧]: إن الأساقفة رفعوا البشائر الأربعة فوق رأسه، وصلّوا قائلين: «يا الله عضِّدْ هذا الرجل الذي قد اخترته لنا». وبحسب الطقس القبطي، زار البابا دير القديس مقاريوس الكبير حيث خدم أول قداس إلهي بعد سيامته.

كتب ساويرس أسقف الأشمونين قائلاً: [إن من أول ما قام به القديس كيرلس هو سيامة كهنة ليتحملوا مسؤولية الكنائس في

---

[7] Severus, Bishop of Al-Ushmunain (10th century): History of the *Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria*, Chapter Xii St. Cyril of Alexandria, The Twenty-Fourth Patriarch. Translated from the Arabic by B. Evetts (from Patrologia Orientalis, first series).

أرجاء أسقفيته التى ربما لم تكن تستقي من الطعام الروحي الـذي بواسطته يمكنها عمل ما يسر الله.

بدأ القديس كيرلس فترة بطريركيته وهو ممتلئ من الحكمة التي تعطي حياة. ولم يكن يكف عن كتابة المقالات والعظات بقوة الروح القدس الذي كان يتكلّم من خلاله، حتى خصص السكندريون كاتبًا يقوم بنسخ ما كان يكتبه هذا الأب البطريرك]

القديس كيرلس عمود الدين والقديس يوحنا الذهبي الفم:

لا يمكن أن نغفل موقفه من القديس يوحنا الذهبي الفـم. ففـى بداية عهده كبطريرك كان البابا كيرلس متأثرًا بالقضية التي ثارت بين خاله البابا ثيؤفيلس وبين القديس يوحنا الذهبي الفم، فعكف على دراسة هذه القضية، وهو يعرف أن خاله كان قد ندم علـى حـرم القديس يوحنا الذهبي الفم، وظهر ندمه هذا في آخر حديث له قبيل انتقاله من هذا العالم.

بإرشاد الروح القدس قام بإلغاء الحرْم الذي كان قـد أصـدره خاله البطريرك ثيؤفيلس ضد القديس يوحنا الذهبي الفم. كمـا قـام بتكريم القديس يوحنا الذهبي الفم والاعتراف بفضله أمـام الجميـع ولقّبه «الأسقف التقي»[8].

---

[8] *Oratis ad Dominas 15.*

أشاد القديس كيرلس بمؤلفات القديس يوحنا الذهبي الفم الكثيرة ذات القيمة العظيمة. أخيرًا دعا إلى انعقاد مجمع بمدينة الإسكندرية قَبِلَ فيه اسم القديس يوحنا الذهبى الفم في الدبتيخا[٩] *Diptychs*. وهكذا وضع البابا كيرلس حدًا نهائيًا لهذه القضية.

ظن بعض الدارسين أن القديس كيرلس قد أخذ موقفًا مضادًا لخاله في هذه القضية[١٠] أما وجهة النظر القبطية، فترى أن القديس كيرلس درس هذه القضية بصدقٍ ولبَّى نصيحة خاله الذي ندم وهو على فراش الموت وأعلن ندمه على ما فرط منه بخصوص الذهبي الفم، بل كان هذا الأمر هو الذي يشغل فكره في لحظات انتقاله. وقد وجد نص قبطي منقول عن البابا كيرلس الكبير

---

[٩] الدبتيخا: قائمة تحوي أسماء الشهداء والقديسين والبطاركة المشتركين في الإيمان المستقيم، وتُقرأ أثناء صلوات الليتورجية الافخارستيا (القداس الإلهي)، وهي تُعد شهادة على أرثوذكسية هؤلاء الأشخاص، بل إن احتوائها على أسماء المجامع المسكونية كان علامة على قبول هذه المجامع. وكان يضاف إليها أسماء الأساقفة الذين تُستَعاد الشركة معهم. واستبعاد أي اسم منها يعني إدانته أو اعتباره هرطوقيًا. وهيَ قائمة قابلة دائمًا للزيادة أو النقص (A Di Berardino, p. 241-242)

[10] L.R. Wickham: , *Select Letters of St. Cyril of Alexandria*, Oxford 1983, p. XIII.

(ابن أخته وخليفته) يتضمن ما قاله البابا ثاوفيلس في لحظات انتقاله إلى الفردوس[11].

السنوات الأولى للقديس كيرلس البابا والبطريرك[12]

كانت السنوات الأربع الأولى لباباوية القديس كيرلس سنوات عاصفة، حيث كان على عاتقه أن يدافع عن الإيمان الأرثوذكسي المقدس ضد الهراطقة النوفاتيين (الذين رفضوا توبة من أنكروا الإيمان أثناء الاضطهاد)، وأن يرد على عنف اليهود ودسائسهم لكي يتمكّن من إنقاذ قطيعه. وكان من واجبه أيضًا أن يوجّه شعبه ويبعدهم عن النظريات الفلسفية الوثنية. بالإضافة إلى أن أوريستس حاكم الإسكندرية، والذي كان يريد أن يعين الأرشيدياكون تيموثاوس بطريركًا بدلاً من القديس كيرلس قبل سيامته بطريركًا، خلق مشاكل كثيرة للقديس كيرلس منذ بداية أسقفيته.

---

[11] إيريس حبيب المصري: قصة الكنيسة القبطية ج١، ص ٤٦٦، مجلة نهضة الكنائس: نوفمبر ١٩٥٥، ص ٢٨٠.

[12] الدفاع عن القديس العظيم كيرلس السكندري في قضية مقتل هيباتيا – دير القديسة دميانة.

وفيما يلي مقتطفات مقتبسة من عدة أعمال تاريخية متنوعة:

[انتُخب البطريرك في عام ٤١٢م لكي يخلف خاله، ولم يكن هذا هو الاختيار المفضّل للهيئات المدنية. وكانت السنوات الأولى لأسقفيته مضطربة[13].]

[منذ وقت انتخاب كيرلس في عام ٤١٢م وجد البطريرك نفسه في خلاف حاد مع القوات المدنية لحكومة الإسكندرية. وكان قد انتُخب بالرغم من المعارضة الشديدة للقيادات المحلية العسكرية[14].]

[كانت الإسكندرية في كل الأحوال مدينة عالمية تميل إلى الاضطرابات والشغب، مع وجود مشاحنات عِرقية [عنصرية] لها طبيعة مستوطنة. وكان العنصر الثالث الذي هو عامة المسيحيين دائمًا محاصرًا من الوثنيين واليهود، لكنه مع ذلك كان قويًا في تأثيره.[15]]

[إن أعمال كيرلس المبكرة كبطريرك تبينه كمُصلح حاول أن ينظم إدارته الكنسية[16].]

---

[13] Frances Young, Lewis Ayres, and Andrew Louth, eds, *The Cambridge History of Early Christian Literature*: First Edition (Cambridge University Press, 2004), p. 353.

[14] Stephen J. Davis, *The Early Coptic Papacy: The Egyptian Church and its Leaders in Late Antiquity* (Cairo: American University in Cairo Press, 2004), p. 72.

[15] Frances Young, *From Nicaea to Chalcedon* (London: SCM Press, 1983), p. 243.

[16] John Anthony McGuckin, *St. Cyril of Alexandria: The Christological Controversy: Its History, Theology & Texts*, (Leiden: E.J. Brill, 1994), p. 7.

المشاكل التي واجهها القديس كيرلس في السنوات الأولى من بطريركيته:

اسم القديس كيرلس وثيق الصلة بالدفاع عن الإيمان الأرثوذكسي وبسبب ذلك واجه العديد من المشاكل منها:

١. افتراءات يوليانوس الجاحد.

٢. أتباع نوفاتيوس الهرطوقي.

٣. نزاع القديس كيرلس مع يهود الإسكندرية.

٤. سوء العلاقة بين البابا كيرلس وأوريستس Orestes الوالي.

٥. الصراع القاسي الذي واجهه ممن تبقّى من الوثنيين.

١. افتراءات يوليانوس الجاحد:

كتب يوليانوس الملك الجاحد ثلاثة كتب «ضد الجليليين» سنة (٣٦٢-٣٦٣م)، طَعَنَ فيها في إلوهية السيد المسيح، وشكّك في أقواله وتعاليمه ومعجزاته. فانشغل القديس كيرلس بدحضها عام ٤٣٣م وكتب في ذلك ثلاثين كتابًا، لم يُحفَظ منها سوى عشرة كتب فقط حتى الآن.

قال ساويرس أسقف الأشمونين: إن بعض الفلاسفة قالوا له: انظر هذه المقالات التي كتبها الملك يوليانوس، إنه يزدري فيها

بموسى وسائر الأنبياء، ويزعم أن المسيح ليس إلا مجرد إنسان. وقالوا أيضًا: نحن كنا نقرأها، لأن الملك هو الذي كتبها.

قال يوليانوس: إنني سأُكَذِّب كلام الجليلي. فالمسيح قال عن الهيكل: «إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا يُنقَض» (مت ٢٤: ٢؛ مر ١٣: ٢؛ لو ١٩: ٤٤؛ ٢١: ٦)، وأنا سأقيم الهيكل ثانية، وأنقض كلام المسيح. وبالفعل بدأ يوليانوس ينفذ كلامه، فهدم ما تبقى من الهيكل ليعيد بناءه، ولكنه مات قبل أن يجدد أي جزء منه، وثبت كلام المُخلِّص، وعرفنا مدى عظمة قوة الله؛ لأنه لا تزول كلمة واحدة أو حرف واحد من كلامه.

عند سماع القديس كيرلس هذا الكلام انزعج وحصل على ما كتبه يوليانوس، فقرأه ووجده أسوأ مما كتبه بورفيري *Porphyry*. ولما رأى أنه لا يمكن جمع كل كتابات يوليانوس، لأنها انتشرت هنا وهناك، واقتناها العديد من الأشخاص، كتب للملك ثيؤدوسيوس رسالة يُعلِمه بهذا الأمر، قائلاً: إن كان يُسِرّك القضاء على أعمال يوليانوس واستئصال معتقده الخاطئ الذي يضلل الشعب، فمُر بجمع الكتب التي ألفها وأحرقها جميعًا.

قَبِلَ الملك الرسالة ومجَّد الله متصرفًا وفق توصيات البابا كيرلس. وأجاب برسالة يطلب فيها من القديس كيرلس أن يبارك إمبراطوريته. من أجل هذا ابتهج القديس كيرلس وكتب عظات

ومقالات يدحض فيها كتابات يوليانوس، ويدين أعماله مشيرًا كيف قضى عليه الملاك مثل شاول في الحرب.

٢. أتباع نوفاتيوس الهرطوقي[١٧] :

دخل القديس كيرلس في صراع ضد أتباع نوفاتيوس الذي رفض قبول توبة من أنكر الإيمان أثناء الاضطهاد. أوضح البابا كيرلس فساد هذا المعتقد، وأمام إصرارهم على رأيهم اضطر البابا أخيرًا أن يطردهم من الإسكندرية.

٣. نزاع القديس كيرلس مع يهود الإسكندرية:

يعود هذا النزاع إلى السنين الأولى من سيامته أسقفًا للإسكندرية. فقد كان بالإسكندرية عدد كبير من اليهود، وكانوا

---

[١٧] كان نوفاتيوس الهرطوقي عضوًا متميزًا من إكليروس كنيسة روما حتى عام ٢٥١م. كتب رسالتيْن لكبريانوس بعد نياحة فابيان الأسقف (٢٠ يناير ٢٥٠م) يُعَدَّان دليلاً واضحًا على سمو براعته كفيلسوف ومدرس للبلاغة. في عام ٢٥١ م، عارض الأسقف كرنيليوس وطالب برفض قبول في شركة الكنيسة كل من ارتد عن الإيمان أثناء اضطهاد الإمبراطور ديسيوس. وصفه القديس كبريانوس بالقسوة وعدم الليونة وعدم الرحمة. ومثل هيبوليتوس تزعم نوفاتيوس جماعة، وانشقوا وصاروا ضد الأسقف. ولكنه لم ينسحب وانتشر أتباعه واستمر أتباعه في انشقاقهم عدة قرون (حتى القرن السادس).

يتمتعون بامتيازات في المدينة منذ عهد الإسكندر الأكبر، ولاحظوا سرعة انتشار المسيحية وازدهارها. بدأت العلاقات بين المسيحيين واليهود الذين كانوا في الإسكندرية تتقهقر تدريجيًا.

أثار اليهود ضد المسيحيين كثيرًا من الاضطرابات، وكان اليهود يُمَثِّلون جالية قوية جدًا في الإسكندرية. أشاع اليهود أن إحدى الكنائس اشتعلت بها النيران، وإذ اجتمع المسيحيون حولها لإطفائها قاموا بقتلهم. قابل المسيحيون هذا الموقف بمحاولات عنف مضاد حاول البابا منعها، ولما لم يستطع، استأذن الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثاني وطرد اليهود من المدينة دون سفك أية دماء. تدخَّل أوريستس والي الإسكندرية لحماية اليهود، ودافع عنهم محاولاً إقناع الإمبراطور بمساوئ طرد اليهود ككلٍ من الإسكندرية، ولكن لم تنجح حججه. ذهب القديس كيرلس ومعه جمع غفير إلى مجامع اليهود ووضع يده عليها وبذل كل جهده من أجل طرد اليهود خارج المدينة بدون إراقة أية دماء. وبهذا انتهت الجالية اليهودية بالإسكندرية.

يعطي Young نبذة قصيرة ولكنها دقيقة عن أحداث التوتر الذي حدث بين المسيحيين واليهود في الإسكندرية[١٨]. إذ يقول: اشتكى كيرلس قادة اليهود الذين تآمروا ضد المسيحيين. ففي الليل

[١٨] الدفاع عن القديس العظيم كيرلس السكندري في قضية مقتل هيباتيا – دير القديسة دميانة.

أطلقوا صيحة عالية أن كنيسة معينة تحترق، ثم ذبحوا جميع المسيحيين الذين هبوا للمساعدة في إطفاء الحريق[١٩].

ذُبح المسيحيون ولم يتخذ أوريستس الحاكم أي موقف. أمّا القديس كيرلس فكراعٍ صالح تحرّك بأسرع ما يمكن لكي ينقذ قطيعه، ولكي يمنع المزيد من نزف الدماء، ومع شعبه المسيحيين أخرجوا اليهود خارج المدينة. ولكنه لم يأمر بقتل يهودي واحد، بالرغم من قتل مسيحيين كثيرين في تلك الليلة. وكتب القديس كيرلس للإمبراطور قائلاً إنه: «كان يدافع عن مصالح المسيحيين في المدينة في وجه هجمات قاسية.»[٢٠]

لام القديس كيرلس اليهود في كتاباته، وخصوصًا في شرحه للكتاب المقدس لأنهم ما زالوا متمسكين بالظل والحرف، داعيًا إياهم للعبادة الروحية المبنية على دم الحمل الحقيقي القادر على التطهير:

«ويل لكم أيها الناموسيون، لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة»، ونحن نعتقد أن مفتاح المعرفة يُقصَد به الناموس نفسه والتبرير بالمسيح، وأنا أعني بالإيمان به. لأنه رغم أن الناموس كان ظلاً ومثالاً، إلاّ أن هذه الرموز ترسم لنا الحقيقة، وتلك الظلال تصوِّر لنا بِرّ المسيح بطرق متنوعة.

---

[19] Young, *From Nicaea to Chalcedon*, p. 243.

[20] McGuckin, *St. Cyril of Alexandria: The Christological Controversy*, p. 15.

كان يقدَّم حَمَل ذبيحة بحسب ناموس موسى، وكانوا يأكلون لحمه ويدهنون القائمتين بدمه، وهكذا كانوا يَغلبون المُهلِك. ولكن مجرد دم خروف لا يمكن أن يبعد الموت. لقد كان المسيح هو المشار إليه بمِثالٍ في شكل حمل، هو الذي احتمل أن يكون ذبيحة عن حياة العالم، وأن يخلِّص بدمه أولئك الذين يشتركون فيه.

يمكن للإنسان أن يذكر أمثلة أخرى كثيرة، يمكن بواسطتها أن نميِّز سرّ المسيح المرسوم فى ظلال الناموس. والمسيح نفسه لمَّا تكلَّم ذات مرة لليهود قال: «يوجد الذي يشكُوكم وهو موسى، الذي عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تُصدِّقون موسى، لكنتم تصدِّقونني، لأنه هو كتَب عني» (يو ٥: ٤٥-٤٦)، وأيضًا: «فتِّشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية. وهى التي تشهد لي. ولا تريدون أن تأتوا إليَّ لتكون لكم حياة» (يو ٥: ٣٩-٤٠)، لأن كل كلمة في الكتب الإلهية الموحَى بها تتطلَّع نحوه وتشير إليه. وإن كان موسى الذي يتكلَّم، فهو على أي حال كان كما رأينا مثالاً للمسيح، وإن كان الأنبياء القديسون الذين تُذكر أسماؤهم، فإنهم أيضًا أعلنوا لنا سرَّ المسيح مسبقًا عن الخلاص الذي بواسطته.

يجب أن نرى حتى في الناموس سرَّ المسيح، ونتمسك بكلمات الأنبياء القديسين لتثبت معرفتنا به. وهذا أيضًا ما علَّمنا به تلميذه بقوله: «وعندنا الكلمة النبوية، وهيَ أثبت، التي تفعلون حسنًا

إن انتبهتم إليها، كما إلى سراجٍ منيرٍ في موضع مُظلم، إلى أن ينفجر النهار، ويطلَع كوكب الصبح في قلوبكم» (٢ بط ١: ١٩). فنحن الذين في المسيح قد أُشرق إذن علينا النهار، وقد طلع كوكب الصبح العقلي، حاصلين على معرفة صحيحة وبلا لوم، لأنه هو نفسه قد وضع في ذهننا وقلبنا المعرفة الإلهية، إذ هو المخلِّص ورب الكل، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور، آمين[٢١].]

وفي موضع آخر يعاتب القديس كيرلس اليهود على صلبهم المسيح قائلاً: [اليهود في شقائهم كانوا معاندين للاعتراف به كمخلِّص ورب، بل قاوموه، وهو الذي جاء بينهم لمنفعة البشرية كلها، أي ليخلصنا من الهلاك الأبدي. وعوضًا عن ذلك عَبَّروا عن إنكارهم للجميل عن الإحسانات (التي صنعها معهم)، وأسلموه للموت وللصليب. وعندما رأوه معلقًا على الخشبة، جحدوه ثانية وسبّوه بالكلمات: «إن كنت ابن الله انزل من على الصليب فنؤمن بك» (مت٢٧: ٤٠)[٢٢].]

---

[٢١] إنجيل لوقا، عظة ٨٦، مركز دراسات الآباء.

[٢٢] الرسالة الفصحية الأولى فقرة ٦، مركز دراسات الآباء.

كتب جورج فلوروفسكي *George Florovsky*: [بصفة عامة كانت الإسكندرية مدينة جامحة، تعب فيها القديس كيرلس من أجل غرس الهدوء والطمأنينة من خلال رسائله وعظاته الرعوية. وكان يقول إن عظاته هيَ شغله المعتاد والثابت، وكانت تتمتع في عهده بنجاح كبير ويشير *Gennadius of Marseilles* أن الشعب كان يحفظ عظات القديس كيرلس عن ظهر قلب. وعلى نحو مقارن حُفِظ لنا القليل منها. في أول هذه العظات، أصر القديس كيرلس على مقاومة روح العصيان والتمرُّد الذي كان في شعب الإسكندرية، كما أدان قُطّاع الطرق وخرافات الوثنيين ونفاق بعض المسيحيين. أما عظاته المتأخرة فكانت عقائدية مرتبطة بحياة الفضيلة. ورسائل القديس كيرلس الفصحية التي كُتِبَت فيما بين عام ٤١٤م و٤٤٢م لها أهمية خاصة[٢٣].]

[23] Georges Florovsky: *The Byzantine Fathers of the Fifth Century*, vol. Eight, Translated by Raymond Miller and Anne-Marie Döllinger-Labriolle, Büchervertriebsanstalt, MA USA, p. 251.

٤. سوء العلاقة بين البابـــا كيـــرلس وأوريســـتس *Orestes* الوالي.

كانت العلاقة بين البابا كيرلس وأوريستس *Orestes* الـــوالي المفوَّض من قِبَل الإمبراطورية لمدينة الإسكندرية ســـيئة للغايـــة. يقول سقراط: إن أوريستس ازدرى بصداقة البطريرك وكَره رئاسة الأساقفة، لأنها تسحب الكثيـــر مـــن الســـلطة الممنوحـــة للحكـــام والمسئولين المُعيَّنين بواسطة الإمبراطور.

تخيل أوريستس أن القديس كيرلس منافس له، بـــل أن شـــهرة البطريرك وسط قطيعه، وأيضًا معرفة الشعب القبطـــي ونظرتـــه للبطريرك على أنه الراعي الصالح الذي يبذل نفسه لأجلهم، ربمـــا جعلت أوريستس يشعر أن سلطته على المدينة قد باتت في خطر.

كان أوريستس ينتهز الفرص لاستخدام العنف مع المســـيحيين ويقوم بتقديم شكاوى متكررة ضد القديس كيرلس للبلاط الإمبراطوري. أراد إثارة المتاعب ضد القديس كيرلس لكي يتخلص منه.

كان أوريستس حاكم الإسكندرية هو المتســـبب فـــي انـــدلاع العنف، عندما اعتقل أحد الأنصار المتحمسين للقديس كيرلس وعذّبه علانية لمجرد أنه شك - بوشاية من اليهود - في قيامـــه بالتجســـس لحساب القديس كيرلس[٢٤].

---

[24] Davis, *The Early Coptic Papacy*, p. 72.

يكتب *Young*: إن أول اندلاع للعنف كان عندما تم ضبط أحد الأنصار المتحمسين لكيرلس وهو يتصنّت في وقت كان فيه الحاكم يصدر تنظيمات أو قوانين رسمية بخصوص العروض اليهودية في السبت. واعتقل أوريستس جاسوس كيرلس المزعوم وعذّبه علانية[٢٥].

رأينا كيف دبّر اليهود خطة وقاموا بقتل عددٍ كبيرٍ من الأقباط. هنا يلزمنا الحديث عن «البارابالاني» *Parabalani* الذين كانوا يحيطون بالبابا.

«البارابالاني» Parabalani [٢٦]

كتب *Young* إنه بعد حادثة اليهود، عندما أحسوا بالحاجة لمساعدتهم «أتى حوالي خمسمائة راهب إلى المدينة من صحراء نيتريا للدفاع عن بطريركهم»[٢٧]، جاء الرهبان فقط بعد حادثة اليهود. سُميَ هؤلاء الرهبان بالبارابالاني، وقد أتوا من الصحراء للدفاع عن بطريركهم وشعبهم ضد الأفعال العنيفة مخاطرين

---

[25] Young, *From Nicaea to Chalcedon*, p. 243.

[٢٦] الدفاع عن القديس العظيم كيرلس السكندري في قضية مقتل هيباتيا– دير القديسة دميانة.

[27] Young, *From Nicaea to Chalcedon*, p. 243.

بحياتهم. وقد نشأت خدمة «البارابالاني» أصلاً في مصر مع خدمة دفن جثث آلاف الشهداء وكذلك دفن ضحايا الأوبئة.

لقب أو تسمية «البارابالاني»[٢٨]

معناها باليونانية «يخاطر» أو «يغامر»، أي «يُعَرِّض نفسه للخطر»، ويدل الاسم على أعضاء أخوية في الكنيسة الأولى، ظهرت أولاً في الإسكندرية ثم في القسطنطينية، كان عملهم العناية بالمرضى ودفن الموتى. وقد خاطروا بحياتهم بتعرضهم للأمراض المُعْدية والتي غالبًا ما تبدأ أثناء انتشار الأوبئة. كما كانوا نوعًا ما حُرَّاسًا للبطريرك وكانت أعدادهم صغيرة. حددت the Codex Theodosianus عام ٤١٦م عدد الملتحقين بـ ٥٠٠ فقط في الإسكندرية وزاد العدد فيما بعد إلى ٦٠٠، بينما في القسطنطينية كان قد انخفض عددهم من ١١٠٠ إلى ٩٥٠ وذلك تبعًا لـ the Codex Junstinianus. يتم اختيارهم بواسطة البطريرك وتحت سلطانه...[٢٩]

---

[٢٨] الدفاع عن القديس العظيم كيرلس السكندري في قضية مقتل هيباتيا، دير القديسة دميانة.

[29] James Dixon Douglas, ed., The New International Dictionary of the Christian Church: Revised Edition (Michigan: Zondervan 1978), p. 747.

ويجب التفريق بين «البارابالاني» ورعاع المسيحيين الذين قتلوا هيباتيا. فليس «للبارابالاني» أي دور في قتلها[30]، ولكن كما سنرى سيوضع اللوم كاملاً وبحق على رعاع المسيحيين.

٥. الصراع القاسي الذي واجهه من بقايا الوثنيين:

من المحتمل أن هذا الصراع قد يكون دفع قلة قليلة إلى اتهام القديس كيرلس - دون أية أدلة - وتحميله مسؤولية قتل هيباتيا Hypatia الفيلسوفة التي كانت تتبع الأفلاطونية الحديثة، بل وكانت هيَ المُعلِّم الأكثر تأثيرًا لهذه الفلسفة في الإسكندرية، وكان يتهافت عليها التلاميذ من كل مكان، وكانت صديقة والي المدينة أوريستس كما أشار سقراط[31].

يذكر يوحنا النيقيوسي John Bishop of Nikiu في كتابه Chronicle:

ظهرت في تلك الأيام في الإسكندرية فيلسوفة وثنيّة اسمها هيباتيا... وأضلت أناسًا كثيرين بخداعاتها الشيطانية. وكان حاكم المدينة يكرمها إلى أبعد حد، لأنها قد أضلته بسحرها، وقد توقف

---

[30] Susan Wessel, *Cyril of Alexandria and the Nestorian Controversy: The Making of a Saint and of a Heretic* (New York: Oxford University Press, 2004), p. 56.

[31] H. E. 7:15.

عن حضور الكنيسة كما كان معتادًا... لم يفعل ذلك فقط، بل جذب الكثير من المؤمنين إليها، وهو نفسه استقبل غير المؤمنين في منزله[٣٢].

ويقول Young عن هيباتيا: هيَ أكثر الوثنيين شهرة في عصرها... فيلسوفة الأفلاطونية الحديثة التي تستطيع أن تثبت نفسها بجدارة في أي محفل أكاديمي. كان من الواضح انبهار أوريستس بها، وكانا أحيانًا كثيرة في صحبة بعضهما البعض. قرر رعاع المسيحيين أنها هيَ التي أثّرت على أوريستس ضد كيرلس![٣٣]

دور القديس كيرلس في الدفاع عن الأرثوذكسية:

ظهر دور القديس كيرلس الحيوي في التاريخ الكنسي والعقائدي في دفاعه عن الأرثوذكسية ضد النسطورية، يُحسَب من آباء ولاهوتيي الكنيسة البارزين. ويدين الفهم الآبائي للتجسد بالأكثر للقديس كيرلس السكندري أكثر من أي لاهوتي آخر[٣٤]. لهذا أُطلِقَ عليه العديد من الألقاب تُعبِّر عن كرامته؛ مثل:

---

[32] John Bishop of Nikiu. *The Chronicle*, 84. 87-103, trans., R. H. Charles and D. Litt (Oxford University Press, 1916).

[33] Young, From Nicaea to Chalcedon, pp. 243-244.

[34].R. Wickham: Select Letters of St. Cyril of Alexandria, Oxford, University Press 1983, p. XI.

"الأسد الجسور"، "المصباح اللامع"، "أثناسيوس الثاني" وبأكثر تحديدًا "عمود الدين".

جاهد القديس كيرلس من أجل تثبيت لقب السيدة العذراء "الثيؤطوكوس" أي والدة الإله الذي رفضه نسطور بل وحرم كل من يؤمن به! في الحقيقة لم يكن القديس كيرلس أول من استعمل تعبير "ثيؤطوكوس" وهو نفسه يقول: [ماذا سوف نفعل في كنيسة المستقيمي الرأي، حيث أننا قد صرنا محرومين مع الآباء القديسين، لأني أجد الأسقف المطوَّب الذكر أثناسيوس، كثيرًا جدًا في كتاباته، يُسَمِّي العذراء والدة الإله. وأبينا المبارك ثيؤفيلوس وأساقفة آخرون كثيرون من القديسين فعلوا هذا أيضًا في أيامهم. باسيليوس وغريغوريوس والمبارك أتيكوس (بطريرك سابق للقسطنطينية) نفسه. وليس أحد من الأساقفة المستقيمي الرأي كان يخاف أن يدعو العذراء والدة الإله. إن كان من الحق أن عمانوئيل هو الله. إن الآباء القديسين الذين هم عند الله وكل من يتبعون تعاليم الحق المستقيمة، والذين يعترفون أن المسيح هو الله، قد صاروا محرومين[٣٥].]

[٣٥] رسالة ١٤ فقرة ٢، مركز دراسات الآباء.

دراسة سيرته العطرة مُشْبِعة جدًا، نلمس فيها عمل الله الواضح في حياته منذ نعومة أظافره وتتلمذه على يدي خاله الأنبا ثيؤفيلوس وفي برية الإسقيط، فيتولد فينا اشتياق نحو الحياة المقدسة مع المسيح والالتصاق به، كي نتمتع به كما تمتع هو به. عندما تفاعل الروح القدس مع آبائنا القديسين بصفة عامة وفي القديس كيرلس بصفة خاصة (وهو ما يُسمَّى اصطلاحًا "السينرجيا Synergy")، صيَّرهم أيقونة للابن الوحيد يُسَر بها الآب السماوي.

لمسات من حياة القديس كيرلس:

عند التأمل في سيرة القديس كيرلس، نرى فيها دروس كثيرة ترسم لنا طريق لحياة القداسة والبر:

١. **الكتاب المقدس** كان مصدر غذاء تتلمذ عليه القديس منذ طفولته، فكان يحفظ النص بمجرد قراءته، بل ويقضي أغلب الليل في حفظ الكتب المقدسة. ولعل تعليقاته على أسفار الكتاب المقدس تكشف لنا عن علاقته القوية به. نراه مشغولاً في البحث عن المسيح المحتجب في الأسفار المقدسة، مؤكدًا أن ناموس العهد القديم هو مؤدبنا للمسيح، لنعبده بحرية الروح لا بعتق الحرف.

٢. درس آخر نتعلمه منه وهو **البُعْد عن المجاملات** وخصوصًا فيما يخص تعاليم الكتاب المقدس والتقليد الذي استلمه من الآباء. لم يهادن الإمبراطورية بل حفظ شعبه من ضلال نسطور ومن قبله يوليانوس واليهود. قال القديس كيرلس في رسالة أرسلها إلى إكليروس مدينة القسطنطينية: [إن هدفي من أجل الإيمان بالمسيح أن أتعب وأحتمل أية آلام مهما كانت، ومهما كان متوقعًا أن تكون مُرعبة، إلى أن أُسلَّم للموت، الذي سيكون حلوًا بالنسبة لي[٣٦].]

٣. كان **الفكر اللاهوتي والعقيدي** بالنسبة للقديس كيرلس يشغل قلبه وعقله، ليس مجرد فلسفات جافة نظرية إنما فكر حي عملي سوتيريولوجي (خلاصي) وهو المنهج السائد في مدرسة الإسكندرية. فخطورة الانحراف عن تعاليم الكتاب المقدس والآباء هو الحرمان من الخلاص الأبدي. هذا ما ركّز عليه القديس كيرلس. الأرثوذكسية ليست مبادئ مجردة نتمسك بها فقط بل هيَ بالأحرى حياة مستقيمة نحياها، سكبها الآب علينا كهبة مجانية من خلال استحقاقات دم ابنه الوحيد في الروح القدس العامل في أسرار الكنيسة. لهذا نرى القديس كيرلس يعطي اهتمام بالأسرار الكنيسة لأنها بمثابة القنوات التي يعمل

---

[٣٦] رسالة ١٠ فقرة ١١، مركز دراسات الآباء.

من خلالها الثالوث القدوس في حياة المؤمن، فيصير مسكناً لله وهيكل له. بالمعمودية باسم الثالوث ننال التبني وشركة الميراث الأبدي والتطعيم في شجرة الزيتون الجديدة، كذلك الإفخارستيا تُتمِّم هذا الغرس وتغذيه بتيار محيي من جسد المسيح الواهب الحياة للعالم.

من أقوال القديس كيرلس في هذا الصدد:

[نؤمن أن جسد الكلمة قادر على أن يُعطي الحياة، وبسبب هذا فهو جسد ودم الكلمة الذي يُعطي الحياة للكل[٣٧].]

[ينبغي أن ندرك أن إعثار واحد فقط من الصغار المؤمنين بالمسيح (انظر مت ١٨:٦)، له عقاب لا يُحتمَل. فإن كان عدد المتضررين كثيرًا، أفلا نكون في حاجة إلى مهارة كاملة لإزالة العثرات بفطنة ونشرح التعليم بصحة الإيمان لأولئك الذين يبحثون عن الحق؟ وسوف يكون هذا صحيحًا جدًا إن كنا نلتزم بتعاليم الآباء القديسين، وإن كنا نجتهد لكي نعتبرهم ذوى قيمة عظيمة، ونمتحن أنفسنا " هل نحن في الإيمان" (انظر ٢كو ١٣:٥)، كما هو مكتوب، ونُشَكِّل أفكارنا حسنًا جدًا لتطابق آراءهم المستقيمة والتي بلا لوم[٣٨].]

---

[٣٧] رسالة ١١ فقرة ٤، مركز دراسات الآباء.

[٣٨] رسالة ٤ فقرة ٢، مركز دراسات الآباء.

[اختتر الإيمان المُسلَّم للكنائس بواسطة الرسل القديسين والبشيرين الذين كانوا معاينين وخُداماً للكلمة[٣٩].]

[وإذ نتبع - من كل ناحية - اعترافات الآباء القديسين التي صاغوها بالروح القدس الذي كان ينطق فيهم، وإذ نتبع ما في أفكارهم من معاني، وكما لو كنا نسير في طريق ملوكي، فإننا نقول: أنه هو "كلمة الله الوحيد"، المولود "من ذات الجوهر الذي للآب"، إله حق من إله حق، النور الذي من النور، الذي به صارت كل الأشياء، تلك التي في السماء وتلك التي على الأرض، وإذ نزل لأجل خلاصنا، وتنازل إلى إخلاء نفسه (انظر في ٢: ٧، ٨)، فإنه تجسد وتأنس، أي أخذ جسداً من العذراء القديسة، وجعله خاصاً به من الرَحم، واحتمل الولادة مثلنا، وجاء كإنسان من امرأة، دون أن يفقد ما كان عليه، ولكن رغم أنه وُلد متخذاً لحماً ودماً فإنه ظل كما كان، أي أنه من الواضح إنه الله بالطبيعة والحق[٤٠].]

[أننا نتبع تعاليم الآباء القديسين من كل وجه، وخاصة أبينا المبارك والمجيد جداً أثناسيوس، طالبين باجتهاد أن لا نبتعد عنه في أي شيء على الإطلاق. وكنت أود أن أضيف أيضاً اقتباسات كثيرة من الآباء لأعطي ثقة

---

[٣٩] رسالة ١٤ فقرة ٣، مركز دراسات الآباء.

[٤٠] رسالة ١٤ فقرة ٧، مركز دراسات الآباء.

في كلماتي الخاصة من كلماتهم... ونحن لا نسمح بأي صورة من الصور لأي شخص أن يهز الإيمان المحدد، أي قانون الإيمان المحدد بواسطة الآباء القديسين الذين اجتمعوا في نيقية في الأزمنة الحرجة. وبكل تأكيد أيضًا، أننا لا نسمح سواء لأنفسنا أو لآخرين أن تتغير كلمة فيه أو أن يُحذف منه مقطع واحد، متذكرين الذي قال: "لا تنقل التُخمَ القديم الذي وضعَه آباؤك" (انظر أم ٢٢:٢٨). لأنهم لم يكونوا هم المتكلِّمين بل روح الله الآب نفسه (انظر مت ١٠:٢٠)، الذي ينبثق منه وهو ليس غريبًا عن الابن بسبب جوهره. وبالإضافة إلى هذا فإن أقوال معلمي الأسرار تُشدِّد إيماننا، لأنه مكتوب في سفر الأعمال، "فلمَّا أتوا إلى ميسيّا حاولوا أن يذهبوا إلى بيثينيَّه، فلم يَدَعهُم الروح" (أع ١٦:٧). وبولس الموحى إليه من الله يكتب: "فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله. وأما أنتم فلستم في الجسد ... إن كان روح الله ساكنًا فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح، فذلك ليس له" (المسيح) (انظر رو ٨:٨، ٩) [٤١].]

---

[٤١] رسالة ٣٩ فقرة ٧، مركز دراسات الآباء.

[بخصوص تدبير مخلصنا، نحن نفكر مثلما فكر أيضًا الآباء القديسون السابقون علينا. لأننا حينما نقرأ كتاباتهم، فنحن نضع فكرهم أمامنا لكي نتبع خطواتهم ولا نضيف شيئًا غريبًا على تعاليمهم الصحيحة[٤٢].]

[من الضروري لنا أن نكافح في كل مكان لأجل الإيمان الصحيح وأن نحاول بأقصى ما يمكن أن نقتلع الكُفر المضاد للمسيح من وسطنا[٤٣].]

[أما بالنسبة لنا يا أحبائي: فلنتمسّك بهذا الإيمان إلى الأبد، ولنحفظه في الفكر ولنكرز به بوضوح (جهرًا) وبثبات أفواهنا، ولنكن مستعدين أن نتحمَّل من أجله أي شيء برضى. فلأجل هذا تنبأ الأنبياء، كرز الرسل والآباء. إنه كنزنا الحقيقي، الذي من أجله يليق بنا أن نبيع ونخسف كل الأشياء. إذا أراد أحد في أي وقت سرقة هذا الإيمان منا، فسوف نحتقره لكونه عدو المسيح وخلاصنا، لأننا مقتنعين بوصية الرسول: "ولكن إن بشرناكم نحن

---

[٤٢] رسالة ٤٥ فقرة ١، مركز دراسات الآباء.

[٤٣] رسالة ٧٠ فقرة ٣، مركز دراسات الآباء.

أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم، فليكن أناثيما" (غل ١: ٨)[44]]

بعد ظهور بدعة نسطور، اهتم بشرح الإيمان وقاسى في سبيل ذلك متاعب كثيرة. عبَّر عن تعبه في مجمع أفسس هو ومن معه في إحدى رسائله قائلاً: [ونحن جميعنا في ضيق عظيم بسبب الجنود الذين وضعونا في حراستهم، وأيضًا بسبب أنهم ينامون أمام غُرَف نومنا الخاصة، وبنوع خاص غُرفتي. ولكن بقية المجمع كله في تعبٍ شديدٍ ومرض. وكثيرون قد ماتوا، وأخيرًا فالبقية يبيعون مقتنياتهم لأن ليس ما عندهم ما ينفقون منه[45]] وهذا يعطينا فكرة عن مدى تعب آبائنا القديسين من أجل أن يسلموا لنا الإيمان نقي بعيد عن كل هرطقة، فلولا أهمية اللاهوت والفكر العقيدي لما خصص لها القديس كيرلس كل هذا الوقت من حياته. من أجل اعتراف القديس بطرس الرسول بلاهوت المسيح طُوِّب (مت ١٦: ١٣-٢٠). ونحن كأبناء هؤلاء الآباء علينا أن نجاهر بهذا الإيمان، نفهمه، نحفظه ونُعلِّم به لكي نُطوَّب من المسيح.

---

[44] Saint Cyril of Alexandria, *Against those who are unwilling to confess that the Holy Virgin is Theotokos*, Orthodox research institute, III, 30.

[45] رسالة ٢٧ فقرة ٧، مركز دراسات الآباء.

ولا نكتفي بمجرد الفهم والحفظ، بل يتحوّل الفكر اللاهوتي إلى حياة نحياها، أولا في الكنيسة بواسطة الليتورجيا التي هيَ بمثابة الوعاء الذي يجمع مفردات الإيمان الأرثوذكسي في قالب حي عندما يُمارَس بالروح بعين شاخصة على المسيح تراه في كل حركة طقسية. وأخيرًا في المخدع، بانحناء الرُكَب وانسكاب الدموع من أجل خلاص العالم كله بحيث لا يرتاح قلبنا حتى نرى كل البشرية في حضن الله متمتعة بالأمجاد السماوية.

هكذا عاش آباؤنا القديسون، الكواكب المنيرة عبر العصور، تركوا الكل والتصقوا بالله وحده فأشبعهم لدرجة أن كل رغبة فقدت لذتها وكل شهوة فقدت حلاوتها وأصبح الله بالنسبة لهم الكل في الكل فاستناروا بنور الثالوث القدوس وصار شعارهم: "من لي في السماء؟ ومعك لا أريد شيئًا في الأرض" (مز٧٣ : ٢٥).

شخصية القديس كيرلس:

تُبرِز لنا رسائل القديس كيرلس وكتاباته عن جوانب مضيئة في شخصيته. كما نكتشف من خلالها مدى علاقته بالكتاب المقدس وحفظه الجيد له.

١. كان تأثير البابا ثيؤفيلوس على القديس كيرلس عميقا وثابتًا، يمكن استنتاجه من إتباع القديس كيرلس أسلوب خاله، ونشاطه ضد الوثنية والهرطقات، وفي رفضه أي خيلاء كان يلاحظه من أساقفة العاصمة الشرقية في كراسيهم.

٢. نرى في رسائله ما يؤكد حبه للسلام بل وسعيه في تحقيقه: [أنا أحب السلام، ولا أكره شيء أكثر من النزاع والعراك. إنني أحب الجميع وإن كان يمكنني أن أشفي أحد الإخوة بأن أفقد كل ممتلكاتي وكل ما لي فلي رغبة أن أعمل ذلك بفرح لأنني أُقَدِّر الوئام أكثر من أي شيء آخر... لكن هناك خلاف حول الإيمان وفضيحة تخص كل كنائس الإمبراطورية الرومانية... لقد عهد إلينا بالعقيدة المقدسة... فكيف نعالج هذه الشرور؟ أنا **مستعد أن أحتمل كل اللوم وكل الخزي وكل الجراح في مقابل ألا يعرِّض الإيمان للخطر، أنا مملوء بالحب نحو نسطور، ليس هناك من يحبه مثلما أحبه..** إن كان - وفقًا لوصية المسيح - يجب علينا أن نحب حتى أعدائنا أنفسهم، أليس من الطبيعي أنه ينبغي أن نتحد في عاطفة خاصة مع أصدقائنا وإخوتنا في الكهنوت؟ لكن حينما يُهاجَم الإيمان يجب علينا ألا نتردد في تقديم حياتنا نفسها ذبيحة من أجله. وإن خفنا أن نكرز بالحق لأن هذا

يسبب لنا بعض المضايقة، فكيف في اجتماعنا نرنم لقتال ونصـــرة شهدائنا القديسين[٤٦].]

[الرغبة في السلام هى الخبر الفائق والأسمى جدًا. وأقول أن أولئك الذين يريدون أن يعتنقوا أفكـــارًا مُرضـــية للمســـيح ينبغي أن يثبتوا في هذه الغيرة بدون توقُّف بل وبشجاعة. ومع ذلك فليس من المناسب بسبب هذا (الرغبة فـــي الســـلام) أن نزدري بفضيلة التقوى في المسيح[٤٧].]

٣. كان القديس كيرلس واضحًا جدًا في حبه للكنيسة وللمسيح. وكان الرجل الشجاع في الأوقات المرتبكة وكرز بما تُعلِّمه الكنيسة. كان أمينًا وصريحًا. لم يكن يبحث عن مديح أو عن مركز. كـــان يريد أن يُعَبِّر عن حقائق الكنيسة بواسطة تبشيره وكتاباته، وقد فعل ذلك. كان القديس كيرلس ذو شجاعة عظيمة وشخصية قوية. يعـــد القديس كيرلس من أعظم الكُتَّاب والمفكرين اللاهوتيين القدامى. إنه مُبَجَّل جدًا في الكنيسة. وتُعد كتاباته معيارًا للأرثوذكســـية. وهـــو مُعظَّم جدًا في الشرق كأحد الآباء مُعلِّمي الكنيسة الكبار.

---

[46] *Alexander Kerrigan: Cyril of Alexandria: Interpreter of the O.T (Analecta Biblica 2) Rome Pontifico Instituto Biblico, 1952, p.7.*

[٤٧] رسالة ٦١ فقرة ١، مركز دراسات الآباء.

٤. يُلاحَظ في كتابات القديس كيرلس، تواضعه الشديد: [كما أنه يقول (الله) للطوباوي إرميا: "لا تقل إني ولد، لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلّم بكل ما آمرك به" (إر ١:٧). فبناء على ذلك، هكذا أنا الضعيف، مثلما تتطلب مني وظيفة الكهنوت العظيمة أن أعظ، فإني أجد خشية في كلمات الكتاب: " تكلّم ولا تسكت" (أع ١٨:٩)، وأجد نفسي مضطرًا لكتابة مثل هذه الأشياء. لأنه منذ أن ترك أبونا ثاوفيلس صاحب الذكرى العطرة والجدير بالثناء، أسقفنا الأخير، الحياة الأرضية حسب أحكام الله وصعد إلى المنزل السماوي (كيف حدث ذلك للمتصرف في كل المعرفة ــ إني أشعر بالخشية عندما أكتب)، عندئذٍ أتت إليَّ أنا الصغير خلافة الأسقفية. فعندما أسمعُ لبولس حينما يكتب: " فويل لي إن كُنت لا أبشّر" (١كو ٩:١٦)، فإني آتى في خشية لأعظ، وأفتكر أن الكرازة تتجاوز قدرتي[٤٨].]

٥. تُبْرِزُ رسائل القديس كيرلس عن رقته في التعامل وتُظهِر لنا حسن تصرفه، خصوصًا مع الذين اختلف معهم في الفكر. لعل من أوضح الشخصيات التي اختلف معها هو نسطور. وهنا يجب التفرقة بين الخلافات الشخصية التي لم يعرفها القديس كيرلس، والخلاف الفكري في الأمور اللاهوتية.

---

[٤٨] الرسالة الفصحية الثانية - فقرة ٢، مركز دراسات الآباء.

[الأفضل أن ننقذ أولئك الذين مقاومين باللطف بدلاً من أن نجرحهم بالتدقيق الهزيل. وكما أنه لو كانت أجسادهم مريضة لكان من الضروري بلا شك أن نمدّ يدًا إليهم، هكذا أيضًا حيث إن نفوسهم متوجعة، فهناك احتياج إلى تدبير كثير كما لو كان علاجًا مجهزًا لهم. وقليلا قليلاً سيتحولون هم أنفسهم إلى موقف يتّسم بالإخلاص. وهذا هو ما سمّاه المغبوط بولس "أعوانًا وتدابير" (١كو ١٢: ٢٨)... فنحن لا نريد أن نقطع بل أن نربط، تابعين كلمات مخلصنا إذ يقول: "لا يحتاج الأصحّاء إلى طبيب، بل المرضى" وإن كان كذلك، فكما يقول أيضًا: "لم آت لأدعو أبرارًا بل خطاةً إلى التوبة" (لو ٥: ٣١، ٣٢) [٤٩].]

كتب يوحنا الأنطاكي في إحدى رسائله إلى القديس كيرلس قائلاً: [بكل سرعة أنهيتَ الاضطراب، برغبتك في معاونتنا كطبيب ماهر يعرف كيف أن يشفي جراحات الكنيسة[٥٠]]

٦. كان القديس كيرلس محبًا لرعيته، فرعاهم أحسن رعاية وحفظهم من تعاليم نسطور المخالفة للإيمان المستقيم. وكان يرسل لهم رسائل ليُعْلمهم بتطور الأمور حينما كان في أفسس. فأرسل

---

[٤٩] رسالة ٥٨ فقرة ٢، ٣، مركز دراسات الآباء.

[٥٠] رسالة ٦٦ فقرة ٢، مركز دراسات الآباء.

أكثر من رسالة لإكليروس وشعب الإسكندرية، كذلك إلى آباء الرهبنة والمتوحدين. وهنا نرى مدى تقديره لشعبه حتى في سفره، وإنه كان يحملهم في قلبه. وفي ذلك إشارة أن العقيدة ليست مقصورة على فئة معينة من الكنيسة، بل على كل قبطي غيور الاهتمام بالإيمان والمجاهرة بالأرثوذكسية بالسلوك الأرثوذكسي الذي يُمجِّد الله.

أتى بعض الزوار من جبل القلمون، فسألهم القديس كيرلس عن الرهبان هناك، وعندما علم أن بعضًا منهم يؤمنون أن اللاهوت هو من هيئة بشرية "أنثروبومورفوس" وأن آخرين يجولون متظاهرين بتكريس أنفسهم للصلاة[٥١]، أرسل رسالة إلى كالوسيريوس أسقف أرسينوي يفند فيها هذه البدعة مقدمًا في التعليم نقاوة، طالبًا منه أن يأمر بقراءة هذه الرسالة في تلك الأديرة لأجل بنيان الساكنين هناك وألا يدع الذين يريدون أن يأكلوا دون أن يعملوا، أن يجدوا فرصة للظهور وكأنهم مستقيمون. أكد القديس كيرلس أنه أمر صحيح أن الإنسان

---

[٥١] المُصلّون *Messalians*: هي شيعة نسكية تنادي بأن الصلاة غير المنقطعة والمكثفة وحدها تستطيع أن تُخلِّص من الأهواء والشهوات التي عن طريقها يسيطر إبليس على الإنسان. رفضوا العمل وعاشوا على الصدقات. (نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى - القمص تادرس يعقوب ملطي).

صُنِع على صورة الله، ولكن المثال لـيس جسـديًا، فـإن الله لا جسد له. والمُخلِّص نفسـه يُعلِّمنـا هـذا بقولـه "الله روح" (يو ٤: ٢٤). لذلك فإن كان هو روحًا، فهو لـيس فـي جسـد ولا في هيئة جسد. فذلك الذي هو خارج عن الجسـد يكـون أيضًا بلا هيئة، لأن اللاهوت لا كون له ولا هيئة"[٥٢].

٧. نلاحظ في سيرة القديس كيرلس أن حياة التقوى التي كـان يعيشها ترجع إلى نقاوة إيمانه، مثلما قيـل أيضًـا عـن القـديس أثناسيوس. فغاية الأرثوذكسية هي الالتصاق بالله حتى ينقش فينـا صورة ابنه الوحيد بروحه القدوس العامل فينا من خـلال أسـرار الكنيسة ووسائط النعمة.

نياحة القديس كيرلس:

تنيح القديس كيرلس في الرب في يوم ٣ أبيب سـنة ١٦٠ ش الموافق ١٠ يوليو ٤٤٤م. سيبقى القديس كيـرلس دائمًـا "عمـود الإيمان" للأرثوذكسيين. ويُعيَّد للقديس كيرلس فـي الشـرق يـوم ٩ يونيو، ومع القديس أثناسيوس يوم ١٨ يناير. وفي الغرب يـوم ٢٧ يونيو وكان سابقًا يوم ٩ فبراير.

---

[٥٢] انظر رسالة ٨٣، مركز دراسات الآباء.

ملاحظة:

بمشيئة الله

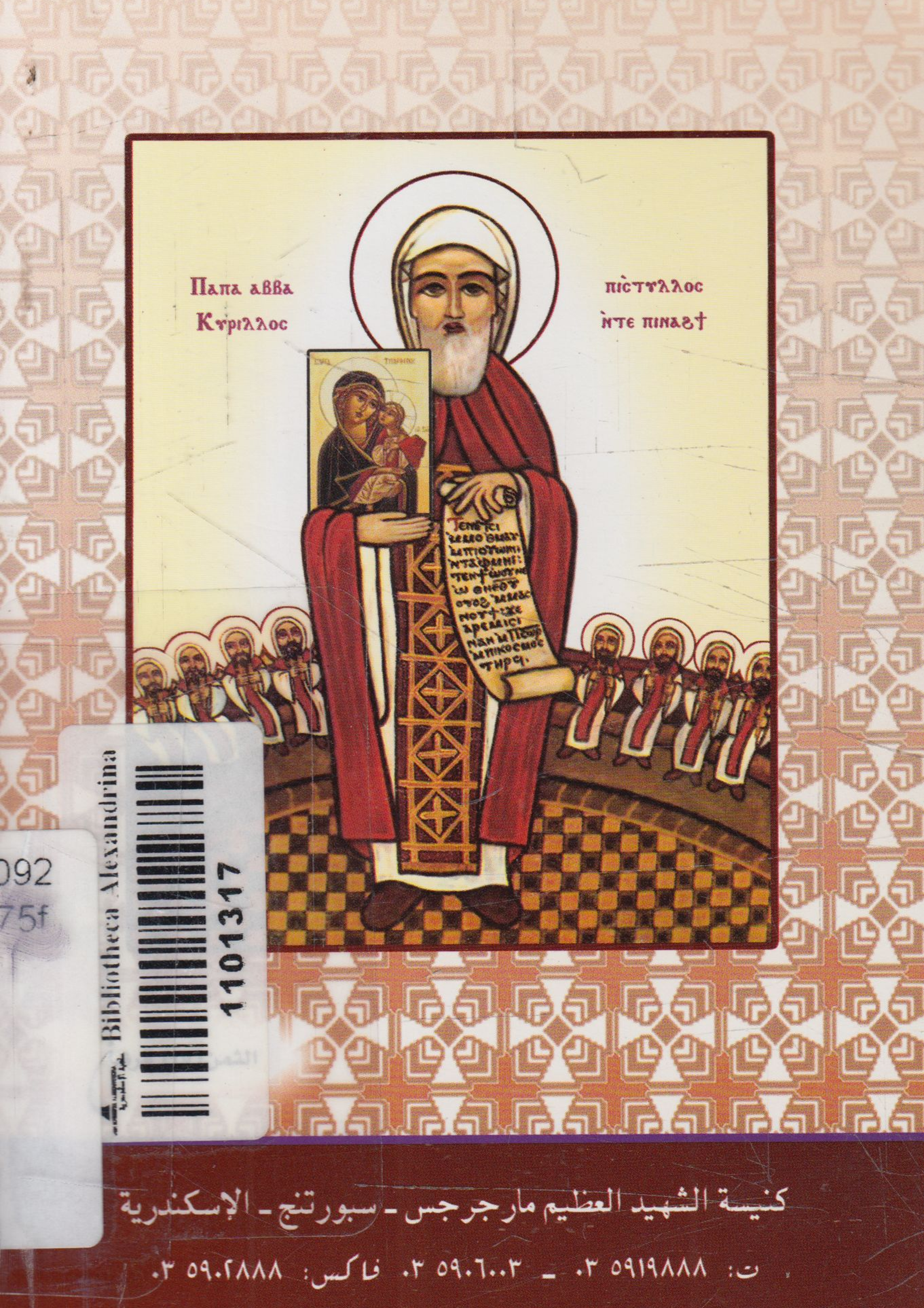
سوف نُقدِّم عرضًا لفكر القديس كيرلس الكبير

الكتابي والروحي واللاّهوتي والكنسي،

وسِمات شخصيته في شيء من التفصيل

في كتاب مُستقِل.

الفهرس



Bibliotheca Alexandrina
1101317
092
75f
كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس - سبورتنج - الإسكندرية
ت: ٥٩١٩٨٨٨ ٠٣ - ٥٩٠٦٠٠٣ ٠٣ فاكس: ٥٩٠٢٨٨٨ ٠٣